المستشرقون ونظرتهم الاستعلائية للإسلام

The orientalists and their arrogant view to Islam

م.م. بشرى ياس خضير
كلية العلوم الإسلامية/ علوم القرآن/ جامعة بابل
Bushrayas13@gmail.com

Researcher: Bushra yas Khudair
College of Islamic sciences/Quranic sciences
University of Babylon

المُقَدِّمَةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ، والسلام على خاتم النبيين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين.

أما بعد..

لا تقل أهمية الموضوع عن غيرها من البحوث الأكاديمية الغنية بموارد العلوم، فالمستشرق سواء كان ملم بالعلوم العربية أم كان ذي غث دفين وممهداً للإستعمار لابد من قراءة ما كتبوه فلا تخلو من فائدة في دراسة ذلك، و تأتي أهمية دراسة الاستشراق بسبب تقلص الحواجز في عصرنا، وتداخل الثقافات، ومن الكتب التي تحدثت عن ذات الموضوع (الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام من تأليف محمد عبد الله الشرقاوي، والثقافة الإسلامية والرؤية الاستشراقية قراءة تحليلية نقدية للدكتور ميلود حميدات، الذي تحدث عن النظرة الاستعلائية الغربية وعدها أساس الاستشراق .. وقد أصبح هذا التمييز بين الشرق والغرب،)انتظمت خطة البحث المسوم بـ (المستشرقون ونظرتهم الاستعلائية للإسلام)، على مقدمة ومبحثين وفق الرؤية المتعلقة بالعنوان، وذكرنا في المطلب الأول التعريف بالمصطلحات لكل من الاستشراق و المستشرق والاستعلاء، اختص المطلب الثاني: عرض تأريخي للنظرة الاستعلائية الغربية كونهم أصحاب ديانات وكتب سماوية خصهم بها جل وعلا والعلة وراء تلكم النظرة. أما المطلب الثالث: الاستشراق ودوره في صياغة العلاقة بين الغرب والإسلام، ومحاولة تحليل الملابسات التي ارتبطت بها وأحاطت بظروف كل منها، وذكرنا في المطلب الرابع: الاستعلاء أساس النظرة الغربية للشعوب والثقافات الأُخر وفيه ورؤيه من جانب الفكر القائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب، نظرة ذات ازدراء وسخرية واستضعاف، ومن نتاجاتها الغزو الفكري والثقافي، بدراسة تتبعية استقصائية موجزه، وكان في نهاية البحث الخاتمة أهم النتائج التي توصلنا اليها و الهوامش باللغتين، وثبت المصادر والمراجع.

الملخص:

ينصب جهد هذا البحث: على المستشرقين والنظرة الاستعلائية في الإسلام، وكان الكلام حول النظرة الاستعلائية كثير وله عمق تاريخي وسياسي ،يمكن نعته بـ الهوس العرقي القومي الذي كان سائدا في أوروبا أدى إلى استبعاد الشعوب الملونة فخلق نوعاً من الغطرسة وشعور عام بتفوق العرق ودينه وحضارته وبالتالي انحطاط كل دين وحضارة غير دينهم، فتحولت تلك النظرة من نظرة استعلاء إلى غريزة مبرره من قبلهم للتنكيل بالدين الإسلامي بالعموم وبمحمد المصطفى (ص) على وجه الخصوص، فنراه نابع من نقص داخلي وروح متمزقة بعيدة عن الإيمان المحمدي ، ومن الظريف أن يكون نشأ الاستشراق لكي يؤثر في الغرب، لكن الذي حدث أن تأثيره أمتد إلى الشرق، والى الإنسان المسلم ويمكن أن نرد على ذلك (فالإنسان المسلم الحقيقي متحصن بالأيمان الذي يقيه من العواصف الفكرية لدى المستشرقين و متغلب عليها بالثبات). كلمات مفتاحية: الاستشراق ، المستشرق، والاستعلاء، المستعرب، الشرق، الغرب.

Conclusion

The effort of this research focuses on the orientalists and the arrogant view in Islam, and there was a lot of talk about the arrogant view and has a historical and political depth, which

can be described as the national ethnic obsession that was prevalent in Europe, which led to the exclusion of colored peoples, thus creating a kind of arrogance and a general feeling of superiority of race, religion and civilization, and thus The decline of every religion and civilization other than their own, so that view turned from a look of arrogance into a justified instinct by them to abuse the Islamic religion in general and Muhammad Al-Mustafa (PBUH) in particular, so we see it stemming from an internal deficiency and a torn spirit far from the Muhammadan faith, and it is funny that Orientalism arose in order to It affects the West, but what happened is that its influence extended to the East, And to the Muslim person, and we can respond to that (the true Muslim person is fortified by faith that protects him from the intellectual storms of the Orientalists and overcomes them with steadfastness.

Keywords: orientalist, supremacy, orientalist, east, west

المطلب الأول التعريف بالمصطلحات:

أولاً **الاستشراق:** في لسان العرب من شرق "شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقاً: طلعت، واسم الموضع: المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرّق ومغرّب، وشّرقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق، وفي الحديث: " لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شّرقوا أو غّربوا" [١]،:عند النظر إلى لفظة "استشراق" نجد أنها مصوغة على وزن استفعال، و لوجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه وجاء في "المعجم الوسيط" "شرقت الشمس شرقاً وشروقاً إذا طلعت[٢].أما في اللغات الأوروبية فثمة تعريف آخر يدل على أن "المقصود بالشرق ليس الشرق الجغرافي وإنما الشرق المقترن بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية، ويرى البعض أن كلمة استشراق لا ترتبط فقط بالمشرق الجغرافي وإنما تعني أن الشرق هو مشرق الشمس ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور بعكس الغروب بمعنى الأفول والانتهاء" [٣] ،فالشرق هو مجموعة الأقطار الآسيوية والأفريقية، والغرب هو مجموعة الأقطار الأوربية والأمريكية

إن الاختلاف في تحديد مفهوم كلمة شرق ينشأ عنه اختلاف في تحديد المستشرق ، فمن هو المستشرق ؟

ثانياً: **المستشرق** بعض الباحثين يقولون: إننا نعني بالمستشرقين "هم الكّتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية" [٤]، وذكر أخر: " المستشرق هو عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية، فلابد أن يتوفر في هذا المستشرق الشروط الواجب توفرها في هذا العالم المتخصص المتعمق، حتى ينتج ويفيد الحضارة بإنتاجه العلمي. لابد ان ينتمي هذا العالم إلى الغرب ولو كان هذا العالم هندياً أو يابانياً أو اندونيسياً لما استحق أن يوصف بالمستشرق، لأنه شرقي بحكم مولده وبيئته وحضارته، وقد تكون الدراسات الشرقية التي يقوم بها المستشرق تأريخياً أو فلسفياً أو اقتصاداً ولكنها ترتبط بالشرق"[٥].

---

[١] ( ) محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب ،دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٧٤/١٠.

[٢] ( )ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ،المعجم الوسيط، ٤٨٢/١ .

[٣] ( ) السيد محمد الشاهد الاجتهاد، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، عدد ٢٢، السنة السادسة، ١٩٩٤م، ص ١٩١-٢١١.

[٤] ( ) ينظر: منير البعلبكي ،قاموس المورد ، بيروت، ط٣ دار العلم للملايين ، ١٩٧٩.

[٥] ( ) محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، طرابلس ، ١٩٨٣م، ص٦٠.

وذهب أخر في تعريفه لهذا المصطلح بالقول: " هو الباحث في فروع المعرفة والتي تتعلق من قريب أو من بعيد بهذا الشرق يسمى مستشرقاً" [٦] .يقول الاستاذ محمد كرد علي : " المستشرقون هم من يعنون بالبحث في لغات الشرق وعلومه" [٧]، ومثل هذا يراه البعلبكي الذي قال : المستشرق الدارس للغات الشرق وفنونه وحضاراته [٨].

أما إدوارد سعيد ذكر : " أن لفظ الاستشراق لفظ اكاديمي صرف، والمستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق او يبحث فيه وكل ما يعمله هذا المستشرق يسمى استشراق" [٩]

يقول الأستاذ عبد الوهاب حمودة " المستشرق كل من تجرد من اهل الغرب الى بعض اللغات الشرقية كالفارسية والهندية والتركية والعربية، وتقصى آدابها طلبا لمعرفة شأن أمة او امم شرقية من حيث اخلاقها وعاداتها وتأريخها وديانتها او علومها و آدابها إلى غير ذلك" [١٠]

وبعد ما سلف ذكره لابد الإشارة إلى أن المتبادر في الذهن ولاسيما لدى غير المختصين هو أن المستشرق من يختص في دراسة الإسلام والعرب من غير المسلمين، ولعل هذا راجع إلى أن اغلب بحوث هذه الفئه تركزت حول العرب والإسلام، وكانت بدايتها ذات طابع حاقد مما شد انتباه المسلمين وجعلهم يطلقون لفظ مستشرقون على كل من يتناول علومهم ومعارفهم وحضارتهم بالبحث والتحليل [١١].

ثالثاً: الاستعلاء

علا: "عُلْو كُلِّ شَيْءٍ وعِلْوه وعَلْوُه وعُلاوَتُه وعَالِيه وعالِيَتُه: أَرْفَعُه، يَتَعَدَّى إِلَيْهِ الفعلُ بحَرْف وَبِغَيْرِ حَرْف كَقَوْلِكَ قَعَدْتُ عُلْوه وَفِي عُلْوِه، وَعَلَا الشيءُ عُلُوًّا فَهُوَ عَلِيٌّ، وعَلِيَ وتَعَلَّى ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَإِذَا هُوَ يَتَعَلَّى عنِّيأَي يَتَرَفَّع عليَّ، وعَلاه عُلُوّاً واسْتَعْلاه واعْلَوْلاه، وعَلا بِهِ وأَعْلاهُ وعَلَّاهُ وعَالاه وعَالَى بِهِ؛ قَالَ:كالثِّقْلِ إِذْ عَالَى بِهِ المُعَلِّي ، وَيُقَالُ: عَلا فلانٌ الجَبَلَ إِذَا رَقِيَه يَعْلُوه عُلُوّاً، وعَلا فُلَانٌ فُلَانًا إِذَا قَهَرَه. والعَلِيُّ: الرَّفيعُ. وتَعَالَى: تَرَفَّع" [١٢] . وعند البحث اكثر على المصطلح تبين لنا جذوره في علم الاجتماع:

اصطلاحاً: "الإستعراقية أو الإستعلاء العرقي/المركزية العرقية أول من إستخدم هذا المصطلح هو عالم الإجتماع الأمريكي (وليم جراهام سمنر)، عام ١٩٠٦م وعرفه على أنه: "النظر إلى جماعة ما على أنها مركز كل شيء وجميع الأخرين يوزنون ويرتبون بعدهم ونتيجة لإتساع نطاق ثقافة ما فإن الناس أصبحوا يرون طرق مجتمعهم بإعتبارها الطرق السليمة للتفكير والشعور والعمل ولهذا السبب فإن الإستعلاء العرقي قد لا يمكن تجنبه إنه يعطي الناس شعورا بالإنتماء والكبرياء والرغبة في التضحية من أجل خير الجماع ولكنه يصبح ضارا إذا بلغ حد التطرف كما أنه قد يسبب التحيز والتعصب ورفض الآراء الآتية من الثقافات الأخرى بل وإضطهاد الجماعات الأخرى والتعرض للثقافات الأخرى يكسب المرء فهما ومرونة قد تقلل من رودود الفعل هذه ولكن لا يمكن التغلب عليها كليا أبدا ،إن الهوى الإيديولوجي وهوس التمركز الإثني العرقي

---

[٦] ( ) قاسم السامرائي ، الإستسراق بين الموضوعية و الإفتعالية ، دار الرفاعي للنشر والطباعة، سوريا، ط١، ١٩٨٣م، ص١٠٧.

[٧] ( ) ينظر: محمد علي كرد ، مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد ٣.

[٨] ( ) ينظر: منير البعلبكي ، قاموس المورد ،بيروت، ط٣ دار العلم للملايين ، ١٩٧٩، ص١٦٧.

[٩] ( ) إدوارد سعيد، الإستشراق والمفاهيم الغربية للشرق، دار بنجوين العالمية، ١٩٩٥م ، ترجمة محمد عناني، ص٤٤.

[١٠] ( ) يعبد الوهاب حمودة، مجلة لواء الإسلام، مقال(من زلات المستشرقين)، مقالة بعنوان(المستشرقون اقل دراية بأسرار اللغة العربية)، مجلد ٤، عدد ٦، ٤ نوفمبر ،١٩٥٠م.

[١١] ( ) ينظر: حمود الغول ، مجلة العربي، مجلد ٦ ، ١٩٥٨م.

[١٢] ( ) ابن منظور ، لسان العرب، ١٥/٨٣.

والخيال الشخصي تقود غلى تزييف الوعي التاريخي والإستغراق في تعظيم التاريخ العرقي المصطفى على حساب الأمانة العلمية والمصداقية الفكرية" [١٣].

فالاستعلاء العرقي أو المركزية العرقية أو الإستِعراقية هو اعتقاد إنسان بأن أمته أو الجنس الذي ينتمي إليه الأحسن والأكثر اتساقًا مع الطبيعة. يشير إلى الاعتقاد بأن جماعة الفرد هي الأفضل بين كل الجماعات، وأن الحكم على الآخرين على أساس أن جماعة الفرد هي مرجع هذا الحكم إيماناً بالقيمة الفريدة والصواب التام للجماعة التي ينتمي إليها والترفع عن الجماعات الأخرى إلى حد اعتبارها نوع من غير نوع جماعته، ولا شك أن هذا التمركز العرقي يعد عاملاً هاماً في نشأة الصراعات العرقية والتعصبية والتي قد تصل في أحيان كثيرة إلى حد المذابح والإبادة والتمرد والثورة والإرهاب والحروب [١٤].

المطلب الثاني: عرض تأريخي للنظرة الاستعلائية

هناك عدة عوامل ساهمت في ظهور الاستشراق الذي يعود أساسه إلى الصراع بين الإسلام والمسيحية، فالفتوحات الإسلامية في بلاد الشام وحروب المسلمين مع البيزنطيين من جهة وفتح المسلمين للأندلس واجتيازهم إلى بلاد الفرنجة ووصولهم إلى حوض باريس كان دافع قوي للأوربيين في مواجهة المسلمين ، وعندما زال الحاجز النفسي بعد هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء، بدأ الأوربيون ينظمون أنفسهم مدفوعين بروح صليبية عارمة، بلغت ذروتها عندما شنت أوروبا حملات كبيرة ضد المسلمين وإستولوا على بيت المقدس، هناك عكفوا على دراسة الثقافة العربية، وقبل ذلك وبعده كانت المدن الإسلامية تعج بالطلاب من أوروبا خاصة المدن في بلاد المغرب، ولم يكونوا جميعا من الطلاب فقد كان بعضهم يبحث عن الطرق الناجعة لمواجهة الإسلام، كما أن فشل الحروب الصليبية كان له دور كبير في ظهور حركة الاستشراق من حيث إقناع الأوربيين بعدم جدوى القوة العسكرية في مواجهة الإسلام وهذا الذي اقتنع به لويس التاسع عندما كان مأسورا في مصر [١٥].

لقد ألف المستشرقون في جميع المعارف الاسلامية، فلا تكاد تجد مجال يخص المسلمين إلا وتجدهم قد تطرقوا إليه، حتى اصبحت كتبهم مصادر للدراسات الاسلامية ليس للأوربيين فحسب بل للعرب والمسلمين أيضا، وقد تأثر بدراساتهم وبآرائهم أجيال من الباحثين المسلمين، الغرب منذ الإغريق والرومان وحتى اليوم يرى نفسه معدن للحضارة ، ومركز للعالم والجدير بالسيطرة والتفوق. فبالتالي يرى نفسه السيد والشعوب الأخرى همجاً و برابرة أو حتى رقيقاً **وتمكنت نظرة الاستعلاء** من الإنسان الغربي حتى أصبحت بمثابة الغريزة والجبلة الثابتة ومُبررة لهم من قبل كبار فلاسفتهم كأفلاطون وأرسطو إلى نيتشه وريتان وجوزيف وقد كانت النظرة العنصرية السبب في معاناة الإنسانية حتى يومنا هذا [١٦]، وقد حاول كل من أفلاطون وأرسطو تقديم سند فلسفي للنزعة المتعصبة المستعلية، قال أفلاطون في كتاب "الجمهورية" أليس من الدقة أن نقول أن الشعوب اليونانية تجمعها رابطة القرابة ووحدة الأصل، وتختلف عن البرابرة والجنس والدم؟ [١٧]، فهم فلسفوا العبودية والرق على أنها ظاهرة طبيعية وقالوا أن هناك ناس ولدو ليكونوا أرقاء و أن الرقيق يستحق مصيره لأنه لا يصلح إلا له ، ثم يقيم دولته على أساس طبقي عنصري ويعمق على تأكيد التفاوت العرقي بين البشر [١٨]، اما الهوس العرقي القومي الذي كان سائدا في أوروبا أدى إلى استبعاد الشعوب الملونة فخلق نوعاً من الغطرسة البيضاء في نفوسهم وشعور عام بتفوق العرق الأبيض ودينه وحضارته وبالتالي انحطاط كل دين وحضارة غير دينهم [١٩].

---

[١٣] ( ) هاشم حسين ناصر المحنك، موسوعة المصطلحات الإدارية والاجتماعية الاقتصادية والتجارية، مطبعة المساحة بالقاهرة ، ٢٠٠٨م.

[١٤] ( ) استعراقيةhttps://ar.wikipedia.org/wiki/

[١٥] ( ) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ص١٤.

[١٦] ( ) د. محمد عبدالله الشرقاوي، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، ،ط١، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر،٢٠١٦م، ص ١٣٢.

[١٧] ( ) أفلاطون ، الجمهورية، ص٣٦٢،ج٣، نشر د. فؤاد زكريا الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[١٨] ( ) الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، ص١٩٤.

[١٩] ( ) د. قاسم السامرائي ،الاستشراق بين الموضوعية والإفتعالية، ط١، دار الرفاعي للنشر والطباعة ، ١٩٨٣م، ص١٤.

لا يسعنا إلا أن نقول: إن معرفة و تحديد جذور هذه النظرة بدأ وانطلق من شعورهم الذاتي المتمرد والمتفرد؛ بكونهم أصحاب ديانات وكتب سماوية خصهم بها جل وعلا ، أما الدين الإسلامي ما هو إلا دين الإسلامي ناسخ للشرائع السماوية، أي انه مأخوذ من التوراة و الإنجيل، فهي تُعتبر البذرة الأساسية لغطرستهم وشعورهم المتعالي المُسقى بالحقد والكراهية والتمرد على الذات ونكرانها.

المطلب الثالث: الاستشراق ودوره في صياغة العلاقة بين الغرب والإسلام

ولاشك في أن الإسلام قد واجه ومازال يواجه تحديات جمة عبر مسيرته الطويلة و هدف المستشرقين هو طرح الشرق أمام الغرب بصورة مشوهة، لتكوين صورة سيئة عن العرب والمسلمين في ذهن الغربي المعاصر، لحمايته من أن يرى نور الإسلام، فيؤمن به، ويحمل رايته ويجاهد في سبيله.

فهزيمة المسلمين هزيمة روحية وفكرية، وذلك بالقضاء على روح الاستعلاء الإيماني والاعتزاز بالإسلام في نفس المسلم، وإذابة شخصيته الإسلامية عن طريق غسل دماغه شيئاً فشيئاً، بأسلوب ماكر يعتمد على إخفاء النوايا الحقيقية والظهور بمظهر برئ لطيف، وقد اشتركت في هذا الهدف مع الصهيونية والشيوعية، و زرع بذور الشك في أهم دعامات الحضارة الإسلامية والتشكيك في النبوة والرسالة [٢٠]. إن إهتمام العالم العربي والإسلامي بالدراسات الإستشراقية حديث العهد ، فقد وجد علماء المسلمين أنفسهم بعد الاستقلال أمام حشد زاخر من كتب المستشرقين وأبحاثهم ، حول القرآن الكريم والرسول (ص) والفقه و التشريع الإسلامي ، وكانت تلك الكتب هي المرجع البارز لكل من يُريد الاطلاع على الشرق الإسلامي . دينياً وثقافياً وفكرياً واجتماعياً .فقد استطاع الغرب النصراني أن يبني ذاته هو أيضاً ، عندما كان الشرق الإسلامي في قمة عصر الازدهار العلمي والثقافي والحضاري [٢١].

فتُرجمت المؤلفات الإسلامية و العربية وخاصة ما يتعلق بالعلوم الإنسانية ، فأنشأ لذلك المعاهد وأرسل البعثات إلى معاهد العلم والمعرفة في الأندلس ومصر والشام وأخذ الاستشراق يخطوا خطواته قدماً إلي الارتقاء بالشعوب الغربية نحو التقدم العلمي والحضاري ، فأنشئت مؤسسات للاستشراق ، وتنوعت أساليبه وتطورت مفاهيمه حتى وصل في القرن التاسع عشر الميلادي إلي قمة إزدهاره وتطوره ففي المجتمعات العربية والإسلامية سَبب الاستشراق ردة فكرية عن الإسلام ، ونجح الاستشراق في إيجاد طبقة من المسلمين مخدوعة بأفكارهم وآرائهم ، وذلك باستقطاب الآلاف من شباب المسلمين للجامعات الغربية طمعاً في الألقاب العلمية ، فرجع هؤلاء الطلاب متأثرين بثقافة الغرب ، ومناهجه وأساليب تفكيره، كما كتب علماء الغرب آلاف الكتب ، وعشرات الآلاف من الأبحاث والمقالات والتي ما زال الكثير من الباحثين يعتمدون عليها [٢٢].

نجد ان العلاقة مبتغاها جشع وطمع واستغلال أن " ادوارد سعيد " ينعت الاستشراق بوصفها نمطاً من الإسقاط الغربي علي الشرق وإرادة السيطرة عليه [٢٣].

فالاهتمام بأحوال الشرق ، والكشف عن عقليات شعوبه ، وأسراره ، وأمزجته وحضارته وتلمس مواضع القوة والضعف لهذه الشعوب ، توطئة لحملات التبشير وموجات الاستعمار . وبعد انحسار الاستعمار المباشر، أصبح الاستشراق يمهد الأرضية الصالحة للاستعمار الاقتصادي والسياسي والثقافي لشعوب الشرق بصفة عامة ،وشعوب الشرق الأدنى بصفة خاصة [٢٤]. بيد

---

[٢٠] ( ) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، المكتب الإسلامي، بيروت ، ص ٢٣، وينظر: محمد قطب، المستشرقون والإسلام، ص٥٤.

[٢١] ( ) د. عزه محمد الجندي، العلاقة بين الاستشراق والتنصير، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ،الزقازيق، عدد ٦، ص٢٠٤.

[٢٢] ( ) المصدر نفسه، ٢٠٥.

[٢٣] ( ) إدوارد سعيد ،الاستشراق ، ترجمة محمد عناني ، ط١،مكتبة طريق العلم،٢٠٠٦م، ص ١٢٠.

[٢٤] ( ) ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي " الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية ، ج ١ ، دار المدار الإسلامي ، بنغازي ليبيا، ص ٢٠ص.

أن كثيراً من الكتابات أيضاً اتصفت بقدر من العجرفة والاستعلاء وعدم الفهم الحقيقي لروح الشرق، ولعل كل محاولة لاستقراء تاريخ حركة الاستشراق سوف تقودنا بالضرورة إلى فهم الملابسات التي ارتبطت بها وأحاطت بظروف كل منها:

*نظرة الغرب إلى سحر الشرق باعتباره أرض الغيبيات والأساطير التاريخية والعادات الغريبة والأفكار والفلسفات التي قد لا تروق للعقل الغربي

* إذا أمعنا النظر في كتابات المستشرقين فسوف نجد أنها قد تعددت، بل وتلونت تبعاً للدولة التي زارها المستشرق وعاش فترة بين أهلها فتكون كتاباته انعكاساً طبيعياً لما رآه وما عرفه عن أهلها وأرضها وثقافة شعبها.

* عجز بعض المستشرقين من الرحالة والمكتشفين عن فهم كثير من عادات الشرق وتقاليده، ولازلت أتذكر كيف أن أحد المستشرقين كان يعيش في بلد إسلامي ولفت نظره قبيل عيد الأضحى وجود خراف صغيرة أمام أبواب المنازل استعداداً للتضحية بها في العيد، فظن ذلك المستشرق أنهم يربونها بديلاً للكلاب وكتب يقول: (إنه يبدو أن أهل هذه البلاد يفضلون تربية الحمل الصغير بديلاً عن الكلب الوفي)، ولو قرأنا ما كتبه كثير من المستشرقين عن مشاهداتهم في مصر أو المغرب أو بعض مدن الشام لوجدنا ما يثير الدهشة ويدعو إلى التساؤل [٢٥].

المطلب الرابع: الاستعلاء أساس النظرة الغربية للشعوب والثقافات الأُخر

العرب والإسلام والغرب قضية حيوية وحضارية كبرى لها حساسية معينة بسبب ما يشهده العالم من تغيرات وتحولات شديدة الأهمية والخطورة؛ إذ تأتي أهمية دراسة الاستشراق بسبب تقلص الحواجز في عصرنا، وتداخل الثقافات. فلا توجد لدى المستشرقين قراءة واحدة للإسلام والعرب، كما لا يصح أن نأخذ الغرب بقراءة واحدة. فجاء الاستشراق لكي يؤثر في الغرب، لكن الذي حدث ان تأثيره امتد الى الشرق، والى الأنسان المسلم.

إن جذور المشكلة تكمن في ثقافة الغرب القائمة على (التمركز و الأنا)بما ان المعرفة وطريقة توليدها تتأثران بالخلفية الثقافية للشعب الذي تنشأ المعرفة في صفوفه، فإن المعرفة الغربية جاءت تعكس ذلك الشعور والاعتقاد الغربيين بالتفوق وبأن الغرب هو مركز الإشعاع والإبداع الحضاريين؛ وبسبب تأثير الثقافية السياسية السائدة في الغرب في المعرفة جاءت نظريات وعلوم اجتماعية، من قبيل التاريخ وعلم الإنسان والعلوم السياسية وعلم النفس في الغرب، متأثرة بهذه النظرة الغربية، فقد شغلت سيرة الرسول الأكرم (ص) حيزاً هائلاً في كتاباتهم، فلم يتركوا صغيرة ولا يغادروا كبيرة الا و اوجدت لهم ميولهم المقصودة تفسيراً وتعليلاً فبذلوا الجهد لأقناع قارئيهم من النصارى بأن أي رجل يتصف بهذه الصفات والادعاءات لا يمكن أن يكون نبي مرسل و**مرادهم** أن الإسلام ليس ديناً الهياً أن القرآن من صنع محمد حتى يبرر أعماله الدنيوية أمام العرب وانهم أصحاب الدين الصحيح [٢٦].

فهذا الشعور الإستعلائي الذي تسرب من خلال تعاليم وعّاظ وخطباء الكنائس نراه واضح المعالم في كتابات القرون الوسطى وكتابات الحروب الصليبية وتواريخ الحملة الفرنسية على مصر بل حتى على كتابات مستشرقي العصر الحاضر التي نُشرت [٢٧].

إن الوقوف على هذه النظرة من خلال البحث حول طبيعة المستشرقين وعلاقتهم بالاستعمار وثقافة الشرق نرى فيها جانب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب، ذات نظرة ازدراء وسخرية واستضعاف ويمكن تلخيصها بالآتي:

أولا_ علاقة الاستشراق بالاستعمار:

---

[٢٥] ( ) ينظر: مصطفى الفقي مقالة الاستشراق.. الرؤية الغربية ، ٢٠١٩.

[٢٦] ( ) الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، د. قاسم السامرائي ،ط١، دار الرفاعي للنشر والطباعة ، ١٩٨٣م، ص٥٥.

[٢٧] ( ) المصدر نفسه ،ص٥٢

إن الاستشراق هو ظاهرة إنفتاحية وحركة ثقافية، ولكنه لم يبرأ أيضاً من تأثيرات الهوى الغربي والغرض القومي، بل والمسحة الاستعمارية التي شكلت الكثير من كتابات المؤرخين ودراساتهم المختلفة عبر العصور بحيث تلونت كتاباتهم وفقاً لأهوائهم ونوعية التجارب التي مروا بها والخبرات الإنسانية التي اكتسبوها [٢٨].

نجد هناك محاولات انطلقت من نظريّات الأعراق التي تحالفت مع الاستشراق ، «الغرب » لما هو في التسويغ للاستعمار الغربي فهذه الطروحات تمحورت حول الغرب على أنه جماعة ثقافيّة متفوقة عرقياً على غيرها وهو اعتقاد قد وجدناه من قبل كممارسات في سلوكيّات كثير من الأمم، وهو وليد اعتقاد إنسان بأنّ أمّته أو الجنس الذي ينتمي إليه يعد الأحسن والأكثر اتِّساقًا مع الطبيعة [٢٩].

فمن أهم وأخطر أنواع هذا الغزو الفكري والثقافي: حركة الاستشراق الحركة قامت بأبشع حملات على الإسلام بدلا من الحملات العسكرية، و هي حملات فكرية وعلمية كما يدعون وتعمل في أوساط العلماء والمثقفين والمفكرين، فهي أشد فتكا من الحروب والقتال بأسلحة الدمار الشامل، وقد مولت هذه الحركة ومازالت تمول- الحكومات الغربية والكنائس المسيحية والصهاينة والشيوعية وغيرها ممن يحاربون الإسلام [٣٠]، كان هدفهم تأييد الغزو الاستعماري للبلاد الإسلامية وتزويد الحكومة الغربية بمعلومات عنها، لتسهيل عملية الاستعمار وإحباط المقاومة الوطنية. فبعد استقلال الدول الإسلامية وخروج المستعمرين عن هذه البلاد سعت الحكومات الغربية لإبقاء العلاقات السياسية بينها وبين هذه الدول، فوظفت المستشرقين وعينتهم سفراء أو موظفين في بعثاتها الدبلوماسية مسئولين وأعضاء في وفود أو بعثات علمية أو غيرها. فبهذه الوسيلة توغل بعض المستشرقين إلى البلاد الإسلامية، واتصلوا بالعناصر الوطنية البارزة من الساسة والقادة والصحافيين والمثقفين والعلماء، فبثوا فيهم الأفكار أو السياسة الغربية، وبذلك أصبحوا أداة للإسعمار والمستعمرين لتنفيذ سياساتهم في البلاد الإسلامية [٣١]

وبالتالي فقد تطلع كثير من العرب إلى الغرب- ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها منارة علم وحضارة وديمقراطية. لكن الغرب الجديد لم يحقق هذه النظرة، فعمد إلى ذرائع وهمية، وشريعة تشبه شريعة الغاب؛ لتدمير العربي؛ ليبقى خارج التاريخ الحديث .إنها علاقة لا تقوم على الندية والتكافؤ، بل إنما تقوم على النظرة الفوقية، والاحتلال، والتجزئة [٣٢].

ثانياً_ الاستشراق و ثقافة الشرق

المستشرق حامل مسؤولية ووسيط نقل المعرفة من الشرق إلى الغرب، فهل حمل الأمانة بصدق؟! لقد خضع المستشرق لقوة المعرفة الغربية، فلم يكن وسيطاً أميناً في أغلب الأحيان مع أن الغرب إذا شاء يمكن أن يعدِّل من الهوة بين الشرق والغرب بقوته.

انطلاقاً من النظرة الاستعلائية التي ينظر بها إلى الشعوب الأخرى في المجالات الثقافية كنشر اللغات الأوروبية ومحاربة اللغة العربية. وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي. وقد نشط الاستشراق في هذا المجال أيما نشاط. فأسس المعاهد العلمية والتنصيرية في أنحاء العالم الإسلامي وسعى إلى نشر ثقافته وفكره من خلال هؤلاء التلاميذ [٣٣].

يذكر مصطفى السباعي اهم النوايا الخفية وراء عناية الاوربيين حول الدراسات الاسلامية

كهدم بنيان الشريعة الإسلامية، فقد شنّوا حملة شعواء على العقوبات والحدود الإسلامية: من قصاص، وقطع، ورجم، وشنّعوا عليها ووصفوها بالهمجية والوحشية، وقد علموا مدى مكانتها وعظم وظيفتها في المحافظة على مجتمع إسلامي متماسك سليم من الآفات والأمراض ،وتدمير المجتمع الإسلامي وطمس معالمه بالتركيز على حياة المرأة المسلمة، فصوروا حياتها في ظل

---

[٢٨] ( ) مصطفى الفقي، مقالة بعنوان "الاستشراق.. الرؤية الغربية للشرق، ٢٠١٩.
[٢٩] ( ) عامر عبد زيد الوائلي ، مقالة صورة الآخر الحضاري نقد الاستعلاء في المركزية الغربية،، ص١٤٥.
[٣٠] ( ) شاكر عالم شوق، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ ، مجلد ٣، ٢٠٠٦م، ص ٦٣.
[٣١] ( ) محمد فتح الله الزيادي ، الاستشراق: أهدافه ووسائله، ص٣٣.
[٣٢] ( ) سمر الديوب، مجلة الاستغراب ، مقالة بعنوان نقد الغيريّة في العقل الإستشراقي، عدد١٠، ٢٠١٨م، ص٩١.
[٣٣] ( ) محمود شاكر،رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، جدة: دار المدني، ١٤٠٧هـ، ص١٤١.

الإسلام بصورة الكبت والظلم والانحطاط، واعتنوا كثيرا بتشويه الحجاب، فنشطوا لجر المرأة المسلمة إلى ميادين الفوضى والانحلال من أجل هدم بناء المجتمع الإسلامي [٣٤]، يرى أدونيس أن العمل الثقافي لا ينفصل عن العمل السياسي، والنضال الثقافي إنما هو في جوهره نضال سياسي [٣٥].

لقد سيطر الغرب على الشرق قديماً سيطرة عسكرية، وأصبحت اليوم سيطرة فكرية ثقافية، فقد تضافرت قوى الغرب والاستعمار؛ ليشككوا في الحضارة العربية والإسلامية وتراثها الفكري [٣٦]، للاستشراق غايات وأشكال وأساليب تخدم الدول الغربية، وتنتهي بالسيطرة على الآخر، وإذابة ثقافته الخاصة، فالاستشراق الثقافي نتاج غربي يتسق والثقافة الغربية المسيطرة واتجاهاتها. وقد ذهب المستشرقون مذاهب شتى في دعاواهم منها ما كتبه لويس ماسينيون عن التصوف الإسلامي .بينما كان يفترض أن يعمل المستشرقون على تقريب الثقافات والآداب بعضها من بعض، وإدخال إنجازات ثقافية ما إلى ثقافة أخرى [٣٧].

أهم نتائج البحث:

- أن لفظ الاستشراق لفظ اكاديمي صرف، والمستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه وكل ما يعمله هذا المستشرق يسمى استشراق.
- إذ تأتي أهمية دراسة الاستشراق بسبب تقلص الحواجز في عصرنا، وتداخل الثقافات. فلا توجد لدى المستشرقين قراءة واحدة للإسلام والعرب، كما لا يصح أن نأخذ الغرب بقراءة واحدة. فجاء الاستشراق لكي يؤثر في الغرب، لكن الذي حدث ان تأثيره امتد الى الشـــرق، والى الأنسان المسلم.
- لقد ألف المستشرقون في جميع المعارف الإسلامية، فلا تكاد تجد مجال يخص المسلمين إلا وتجدهم قد تطرقوا إليه، حتى أصبحت كتبهم مصادر للدراسات الإسلامية ليس للأوربيين فحسب بل للعرب والمسلمين أيضا، وقد تأثر بدراساتهم وبآرائهم أجيال من الباحثين المسلمين.
- نشوء مؤسسات للاستشراق ، والتنوع في أساليبها والتطور في مفاهيمها سَبب الاستشراق ردة فكرية عن الإسلام ، ونجح الاستشراق في إيجاد طبقة من المسلمين مخدوعة بأفكارهم وآرائهم.
- كثيراً من الكتابات اتصفت بقدر من العجرفة والاستعلاء وعدم الفهم الحقيقي لروح الشرق فولد تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب، ونظرة ذات ازدراء وسخرية واستضعاف، ومن نتاجاتها الغزو الفكري والثقافي.
- لقد سيطر الغرب على الشرق قديماً سيطرة عسكرية، وأصبحت اليوم سيطرة فكرية ثقافية، فقد تضافرت قوى الغرب والاستعمار؛ ليشككوا في الحضارة العربية والإسلامية وتراثها الفكري.

المصادر والمراجع

١. إدوارد سعيد، الإستشراق والمفاهيم الغربية للشرق، دار بنجوين العالمية، ١٩٩٥م ، ترجمة محمد عناني

٢. أفلاطون، الجمهورية، ج٣، نشر د. فؤاد زكريا الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣. حمود الغول ، مقالة بعنوان(المستشرقون اقل دراية بأسرار اللغة العربية، مجلة العربي) ، مجلد ٦ لسنة ١٩٥٨م.

٤. ساسي سالم الحاج ، نقد الخطاب الاستشراقي " الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية ، ج ١ ، دار المدار الإسلامي ، بنغازي ليبيا.

٥. سمر الديوب، مجلة الاستغراب ، مقالة بعنوان نقد الغيريّة في العقل الاستشراقي، عدد١٠، ٢٠١٨م .

٦. شاكر عالم شوق، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ ، مجلد ٣، ٢٠٠٦م.

[٣٤] ( ) مصطفى السباعي، الإستشراق والمستشرقون ،ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ص ٢٣.
[٣٥] ( ) ينظر: مجلة مواقف ،بيروت، العدد ٣٤ ، ١٩٧٩ ، ص ١٦٠.
[٣٦] ( ) أحمد سمايلوفتش،فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د.ت، ص١٢٤.
[٣٧] ( ) سمر الديوب ، مقالة بعنوان نقد الغيريّة في العقل الاستشراقي، عدد ١٠ ،٢٠١٨م، ص٩١.

٧. عامر عبد زيد الوائلي ، مقالة بعنوان صورة الآخر الحضاري(نقد الاستعلاء في المركزية الغربية).
٨. عبد الوهاب حمودة، مقاله بعنوان"(من زلات المستشرقين)"، مجلة لواء الاسلام، مجلد ٤، عدد ٦، سنة٤ نوفمبر ،١٩٥٠م.
٩. عزه محمد الجندي، العلاقة بين الاستشراق والتنصير، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ،الزقازيق، عدد ٦.
١٠. قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والإفتعالية، ط١،سوريا، دار الرفاعي للنشر والطباعة ، ١٩٨٣م.
١١. مجمع اللغة العربية بالقاهرة المعجم الوسيط، ،ج١.
١٢. محمد الشاهد الاجتهاد، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين، عدد ٢٢، السنة السادسة، ١٩٩٤ م.
١٣. محمد بن مكرم بن علي بن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ،ط ٣، ١٤١٤ هـ.
١٤. محمد عبدالله الشرقاوي ،الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، ط١، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر،٢٠١٦م.
١٥. محمد علي كرد ، مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد ٣.
١٦. محمد فتح الله الزيادي، ظاهرة انتشار الاسلام وموقف بعض المستشرقين منها، طرابلس ، ١٩٨٣م.
١٧. محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، جدة: دار المدني، ١٤٠٧هـ.
١٨. مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢.
١٩. مصطفى الفقي، مقالة بعنوان "الاستشراق.. الرؤية الغربية للشرق، ٢٠١٩.
٢٠. منير البعلبكي، قاموس المورد، بيروت، ط٣ دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م.
٢١. هاشم حسين ناصر المحنك، موسوعة المصطلحات الادارية والاجتماعية الاقتصادية والتجارية، مطبعة المساحة بالقاهرة ، ٢٠٠٨م.
٢٢. استعراقيةhttps://ar.wikipedia.org/wiki/

Sources..

١. Edward Said, Orientalism, translated by Muhammad Anani, 1st Edition, The Path of Knowledge Library, 2006 AD.

٢. Plato, The Republic, Part 3, published by Dr. Fouad Zakaria, the Egyptian General Book Authority

٣. Hammoud Al-Ghoul, an article entitled (Orientalists are Less Familiar with the Secrets of the Arabic Language, Al-Arabi Magazine), Volume 6 for the year 1958 AD.

٤. Sassi Salem Al-Hajj, Criticism of the Orientalist Discourse, "The Orientalist Phenomenon and its Impact on Islamic Studies, Part 1, Dar Al-Madar Al-Islami, Benghazi, Libya.

٥. Samar Al-Dayoub, Al-Istijrab Magazine, an article entitled Criticism of Otherness in the Orientalist Mind, Issue 10, 2018 AD.

٦. Shakir Alam Shawq, Studies of the International Islamic University, Chittagong, Volume 3, 2006 AD.

7. Amer Abd Zaid Al-Waeli, an article entitled The Image of the Civilized Other (Critique of Arrogance in Western Centralism).

8. Abd al-Wahhab Hammouda, his article entitled "(One of the slips of the Orientalists)", .Liwaa al-Islam Magazine, Volume 4, Issue 6, November 4, 1950 AD

٩. Azza Muhammad al-Jundi, The Relationship between Orientalism and Christianization, College of Islamic and Arab Studies, Zagazig, No.

١٠. Qasim Al-Samarrai, Orientalism between Objectivity and Activism, 1st edition, Syria, Dar Al-Rifai for Publishing and Printing, 1983 AD.

١١. The Academy of the Arabic Language in Cairo, Al-Mu'jam Al-Waseet, Part 1.

١٢. Muhammad al-Shahid al-Ijtihad, Orientalism and Methodology of Criticism among Contemporary Muslims, No. 22, Sixth Year, 1994 AD.

١٣. Muhammad bin Makram bin Ali bin Manzoor, Lisan Al Arab, Dar Sader, Beirut, 3rd edition, 1414 AH.

14. Muhammad Abdullah Al-Sharqawi, Orientalism and the Formation of the Western View of Islam, 1st edition, Dar Al-Bashir for Culture and Science, Egypt, 2016 AD.

١٥. Muhammad Ali Kurd, Journal of the Arab Scientific Academy, Volume 3.

١٦. Muhammad Fathallah Al-Ziyadi, The phenomenon of the spread of Islam and the position of some orientalists towards it, Tripoli, 1983 AD.

١٧. Mahmoud Shaker, A message on the way to our culture, Jeddah: Dar Al-Madani, 1407 AH.

١٨. Mustafa al-Sibai, Orientalism and Orientalists, Islamic Bureau, Beirut, 2nd edition.

١٩. Moustafa El-Feki, article entitled "Orientalism... The Western Vision of the East, 2019.

٢٠. Munir Al-Baalbaki, Al-Mawred Dictionary, Beirut, 3rd edition, Dar Al-Ilm for Millions, 1979 AD.

21. Hashim Hussein Nasser Al-Mohanak, Encyclopedia of Administrative, Social, Economic and Commercial Terms, Al-Mesaha Press, Cairo, 2008.

22. Iraq https://ar.wikipedia.org/wiki/